



الكل يجرم الاستعمار ويحقره، وكل القوانين الدولية والوطنية تشرع مقاومته ومكافحته ومناهضته بكل السبل بما في ذلك العسكرية، دفأعا مشروعها عن النفس والأهل والشعب والأرض والقيم... باختصار: عن الوطن المحتل..

لكن ما هو الاستعمار؟

أليس من محدداته توسيع سلطة تسيير شأن بلد دون تفویض من السكان، أي الإمساك بتفاصيل البلد ودوليه ومؤسساته، وإخضاع شعبه بقوة الحديد والنار، بغض النظر عن اشتراك تلك السلطة وأولئك السكان في الدين، أو اللغة، أو العرق... أو بعض منها، أو كلها، بغض النظر عن اشتراكهم في ذلك من عدمه، وبقطع النظر أيضاً عن مستوى تحقيق العدالة بين أبناء البلد المحتل، وكذا عن مستوى تحقيق الرفاهية والتنمية وتقديم الخدمات، وكذا عن حصول تنفع الحاكمين المستولين أو زدهم في المصالح والطموحات الشخصية؟

وبهذا المعنى، لا يكون حكام العرب محتلين لأوطان شعوبهم؟

فهم لا تفویض لهم بالحكم، ويُخضعون الشعوب بالقوة، ولا يحقّون أدنى مستوى من العدالة أو الكرامة لشعوبهم، ولا ينجذبون أدنى تنمية في البلاد التي يحتلونها، ولا يقدمون أية خدمات ذات بال للمواطنين، ولا يتورعون عن تحقيق مصالحهم، وقضاء حاجاتهم وماربهم، وتقريب أهاليهم وأصدقائهم ومعارفهم وحاشياتهم وزبانيتهم، ونهب خيرات البلد، والتنكيل بأهله وإذلالهم والتضييق والوصاية عليهم... .

إنه لا يمكن اختزال الفرق في جنسية الحكام التي يسمونها زوراً بالوطنية، بل لا يُستساغ النعت بالوطنية نظماً استولت على الحكم بانقلاب، أو تزوير، أو مؤامرة وتوافق مكن الأقلية العرقية أو المذهبية أو الطائفية من التحكم في رقاب الأغلبية السكانية، أو تعاقد خرافي صوري لا أساس له في الواقع، ثم حمت وجودها بالقوة العسكرية المبيدة...!!.

إن هذه الظواهر ما هي في حقيقة الأمر إلا أقنعة للاحتلال وإن اختلفت جنسية الحاكم.. بل إن التطور الذي طرأ على "علم الاحتلال" قد نقل الإشراف المباشر من المحتل الأجنبي إلى العميل "الوطني"، تخلصاً من كثير من الالتزامات والاستحقاقات والتكليفات والتبعات... .

وعلى كل، إذا كانت العبرة بالخواتيم، ومقاييس الاعتراف والاحترام هو غياب السلطة - لأنه مع وجودها تجرحهما شبهة

الخوف - وإذا كان "القادة" لا يُنهون "حياتهم السلطوية" حتى بالتقاعد ليُرى كيف يعاملهم أفراد الشعب بحقاره وازدراء، فإن المتأخر هو ملاحظة تعامل الناس مع بعض ممثلي السلطة كأنموذج مجسّد للحاكم القائم بأمره..

فكان بالأمس القريب "قائد الاستعمار" الخائن يتوارى، هو وكل من يننسب إليه من قريب أو بعيد، عن القوم الذين حكمهم تحت طائلة الخزي والاستهزاء، بل والانتقام، بعد زوال سلطته بفعل "الاستقلال"، فيغادر إلى المجهول داخل البلاد أو خارجها، ها هو "قائد الاستبداد" الظالم، وللسبب نفسه، يتوارى من الناس بعدما تزول سلطته بداعي التقاعد أو الانتقال، هو رجاله ومن على شاكلته.

إنهم منبوزون لا أصدقاء لهم ولا معارف حتى من الذين استعملوهم من السلطات، أو سخروهم من العصابات!!

وإذا كانت بضها تميز الأشياء، وبالمثال يتضح المقال، فإن النظر في حال المتقاعد الغربي، أو من أنهى انتدابه بسبب انتهاء ولايته الانتخابية أو خسارة الجولة الموالية، في مجتمعه ومنزلته بين قومه ومكانته لدى شعبه، تمعن في بيان ذلة من زالت سلطته وبأدت سطوطه ممن يبننا!!!

العصر

المصادر: